[illegible]

كتاب

[illegible]

« تأليف »

العالم العامل صاحب التصانيف المفيدة

[illegible]

حفظه الله وادام النفع به

[illegible]

يطلب هذا الكتاب من ادارة مجلة المنار ومن مكتبتها بمصر
ومن مؤلفه في دمشق الشام وثمنه قرشان خلا أجرة البريد

الطبعة الاولى

[illegible]

سنة ١٣٣٠ هـ — ١٢٧٩ م

كتاب الجرح والتعديل

تأليف العالم العامل صاحب التصانيف المفيدة

﴿ الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ﴾

حفظه الله وادام النفع به

(نشر في مجلة المنار وجمع منها)

يطلب هذا الكتاب من ادارة مجلة المنار ومن مكتبتها بمصر
ومن مؤلفه في دمشق الشام وثمنه قرشان خلا أجرة البريد

(الطبعة الاولى بمطبعة مجلة المنار بمصر)

سنة ١٣٣٠ هـ ق ـــ ر ١٢٧٩ هـ ش



ميزان الجرح والتعديل

هذا بحث جليل ، ومطلب خطير ، طالما جال في النفس التفرغ لكتابة شيء فيه يكون لباب اللباب ، في هذا الباب ، الذي اختلف فيه الناس ، لما غلب التعصب على النفوس ، ونبذوا مشرب كبار المحدثين رواة السنة ، وهداة الامة ، حتى سنحت لي فرصة كتبت فيها ترجمة حافلة للامام البخاري جعلتها مفصلة بتراجم منوعة كان منها (تخريج البخاري عمن رمي بالابتداع) وهم الذين اسميهم « المبدّعين »[1]

ذكرت ثمة ما يناسب تأليف الترجمة ، ثم رأيت ان المقام يستدعي زيادة بسط واسهاب ، ودرأ شبهٍ واحتمالات اوردها بعض الفقهاء خالف فيها الحقيقة ، فخشيت ان يطول بايرادها — في ترجمة البخاري — الكلام ، ويشبه الخروج عن الموضوع ، فافردت تتمة هذا البحث في مقالة خاصة تحيط به من اطرافه ، وترده على اعقابه ، وهذا البحث من جملة المباحث العلمية التي نسيها الخلف او أضاعوها ، ولا غرو أن يذهل

---

(١) بتشديد الدال المفتوحة أي المنسوبين للبدعة وانما آثرنا هذا على تسمية الاكثرين لهم بالمبتدعين لاني لا أرى انهم تعمدوا البدعة لانهم مجتهدون يبحثون عن الحق فلو اخطأوه بعد بذل الجهد كانوا مأجورين غير ملومين فلا يليق تسميتهم مبتدعة بل مبدعة كما سيمر بك البرهان عليه

عن الغايات ، من يقصر في البدايات ، ولا حول ولا قوة الا بالله

(منشأ النبز بالابتداع)

من المعروف في سنن الاجتماع ان كل طائفة قوي شأنها ، وكثر سوادها ، لا بد ان يوجد فيها الاصيل والدخيل ، والمعتدل والمتطرف ، والغالي والمتسامح ، وقد وجد بالاستقراء ان صوت الغالي أقوى صدى ، واعظم استجابة - لان التوسط منزلة الاعتدال ، ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر ، واما الغلو فمشرب الاكثر ، ورغيبة السواد الاعظم ، وعليه درجت طوائف الفرق والنحل ، فحاولت الاستئثار بالذكرى ، والتفرد بالدعوى ، ولم تجد سبيلا لاستتباع الناس لها الا الغلو بنفسها ، وذلك بالحط من غيرها ، والايقاع بسواها ، حسب ما تسنح لها الفرص ، وتساعدها الاقدار ، ان كان بالسنان ، او اللسان

واول من فتح هذا الباب - باب الغلو في اطالة اللسان بالمخالفين - الخوارج ، فاتى قادتهم عامتهم من باب التكفير - لتستحكم النفرة من غيرهم ، وتقوى رابطة عامتهم بهم ، ثم سرى هذا الداء الى غيرهم ، واصبحت غلاة كل فرقة تكفر غيرها وتفسقه ، او تبدعه او تضلله ، لذاك المعنى نفسه ، حتى قيض الله تعالى من الائمة من قام في وجه اولئك الغلاة ، وزيف رأيهم ، وعرف لخبار كل فرقة قدرهم ، واقام لكل منهم ميزان امثالهم

(من شهر الرواية عن المبدعين ، وقاعدة المحققين في ذلك)

كان من اعظم من صدع بالرواية عنهم الامام البخاري رضي الله عنه ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين احسن الجزاء ، فخرّج عن كل عالم صدوق ثبت من أي فرقة كان ، حتى ولو كان داعية - كعمران بن حطان وداود

ابن الحصين . وملأ مسلم صحيحه من الرواة الشيعة [١] فكان الشيخان عليهما الرحمة والرضوان بعملهما هذا قدوة الانصاف ، واسوة الحق ، الذي يجب الجري عليه ـ لان مجتهدي كل فرقة من فرق الاسلام مأجورون اصابوا أو اخطأوا بنص الحديث النبوي

ثم تبع الشيخين على هذا المحققون من بعدهما حتى قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في شرح النخبة : التحقيق ان لا يرد كل مكفر ببدعته ـ لأن كل طائفة تدعي ان مخالفيها مبتدعة ، وقد تبالغ فتكفر ، فلو اخذ ذلك على الاطلاق لا ستلزم تكفير جميع الطوائف (قال) والمعتمد ان الذي ترد روايته من انكر امرا متواترا من الشريعة معلوما من الدين بالضرورة ، واعتقد عكسه . واما من لم يكن كذلك ، او ينضم الى ذلك ضبطه لما يرويه ـ مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله إهـ

(افات الجرح الا بقاطع)

قال الامام ابن دقيق العيد : أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس : المحدثون والحكام

وقال الامام النووي في التقريب وشارحه السيوطي : اخطأ غير واحد من الائمة بجرحهم لبعض الثقات بما لا يجرح ـ كما جرح النسائي احمد بن صالح المصري بقوله : غير ثقة ولا مأمون . وهو ثقة إمام حافظ احتج به البخاري ووثقه الا كثرون ، قال ابن الصلاح : وذلك لان عين السخط تبدي مساوئ لها في الباطن مخارج صحيحة ، تعمى عنها بحجاب السخط ، لا ان ذلك يقع منهم تعمدا للقدح مع العلم ببطلانه اهـ

(١) راجع شرح تقريب النووي صفحة ١١٩

وقال الامام ابن دقيق العيد : والوجوه التي تدخل الآفة منها خمسة : (احدها) الهوى والغرض وهو شرها ، وهو في تاريخ المتأخرين كثير . (الثاني) المخالفة في العقائد . (الثالث) الاختلاف بين المتصوفة واهل علم الظاهر (الرابع) الكلام بسبب الجهل بمراتب العلوم واكثر ذلك في المتأخرين ـ لاشتغالهم بعلوم الأوائل ، وفيها الحق والباطل (الخامس) الاخذ بالتوهم مع عدم الورع . وقد عقد ابن عبد الرؤف بابا لكلام الاقران المتعاصرين بعضهم في بعض ، ورأى ان اهل العلم لا يقبل جرحهم الا ببيان واضح [١]

(الوجوه التي يعرف بها ثقة الراوي)

قال السيوطي : قال في الاقتراح : [٢] تعرف ثقة الراوي بالتنصيص عليه من روايه ، او ذكره في تاريخ الثقات ، أو تخريج احد الشيخين له في الصحيح ، وان تكلم في بعض من خرج له فلا يلتفت اليه ، او تخريج من اشترط الصحة له ، او من خرج على كتب الشيخين اه فتمت النعمة بتعديل رجال الصحيحين ونبذ كل وهم سواه ، وبذلك عرف للرجال فضلهم ، ولأولي العلم قدرهم ، وسن للناس طرح التعصب والتحزب ، والتصافح على الاخوة الايمانية ، وتبادل الآراء والافكار ، واستماع الحكم ومدارك الاستنباط والاجتهاد من ذويها ، على هذا جرى أئمة الحديث ، وقادة الروايات ، الذين جمعوا ما جمعوا لدلالة الامة على هدي نبيها وسنة رسولها صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله ، حتى اصبحت

(١) تدريب السيوطي صفحة ٢٦٣ (٢) كتاب في اصول الحديث للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد (كشف الظنون)

مرجع الفروع والاحكام ، ومعول الائمة الاعلام

{ زيادة ايضاح في حكمة التخريج عن المبدعين وفوائد ذلك }

ان تخريج أئمة السنة ، وحفاظ الهدي النبوي ـ حديث من نبذوا بالابتداع على طبقاتهم ـ فيه حكمة بليغة ، وفائدة عظيمة ، ألا وهي النهم بالعلم ، والسعي وراءه والجد في طلبه ، والتنبه لحفظه من الضياع ، وسن نبذ التعصب ، والتشيع والتحزب ، والتقاط الحكمة من أي قائل. قال حافظ المغرب الامام ابن عبد البر في كتاب جامع العلم وفضله في : (باب جامع في الحال التي تنال بها العلم) ما مثاله : وروينا عن علي رحمه الله انه قال في كلام له: العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو من ايدي المشركين، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه ايضا انه قال: الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط اه فأئمة الحديث رأوا ان السنة من الحكمة بل هي الحكمة ـ في تفسير الإمام الشافعي كما اوضح ذلك في رسالته الشهيرة [1] في (باب بيان ما فرض الله من اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم) ـ فلذا عمدوا الى تلقيها من كل ذي علم ، واشترطوا للعناية بها ان تكون من مسلم عدل صدوق، ثبت في راويته ، ولم يبالوا بما غمز أو نبز اورمي به ،علما بان المسائل النظرية ، أو التي دخل على اصولها تأويل بنظر المأول هي من المجتهد فيها والمجتهد مأجور اصاب او أخطأ ،فعلى م يترك الاخذ عن المأجور ، وقد يكون رأيه هو الحق ، ومذهبه هو الادق ـ ما دام الامر فيه احتمال ولا قاطع ، أو اعترض النص ما رجحه ظاهرا ـ كما يعلمه من اعار نظر الانصاف مآخذ الائمة

(١) مطبوعة مرتين

وسداركهم ـ وقد اوضح جملا من ذلك الامام تقي الدين ابن تيمية في كتابه : (رفع الملام ، عن الائمة الاعلام [١]) فكان أئمة الحديث بهذا ـ اعني التلقي عن كل عالم ثبت ـ مثال الانصاف وكبر العقل ، وقدوة كل من يلتمس الحكمة ، ويتطلب العلم ، فجزاهم الله أحسن الجزاء

{ عقوق الخلف بهجر مذهب السلف }

سبق اني قلت في هذا المعنى كلمة في كتابي (نقد النصائح الكافية [٢]) بعد ان سبرت رجال من خرج لهم من الشيخان أو أحدهما في صحيحيهما ـ ممن نبز بالابتداع ـ وهي قولي : فترى من هذا ان التنابز بالالقاب والتباغض لاجلها الذي احدثه المتأخرون بين الامة عقوا به ائمتهم وسلفهم ـ أمثال البخاري ومسلم والامام احمد بن حنبل ، ومن ما ثلهم من الرواة الابرار ، وقطعوا به رحم الاخوة الايمانية الذي عقده تعالى في كتابه العزيز ، وجمع تحت لوائه كل من آمن بالله ورسوله ، ولم يفرق بين احد من رسله ، فاذن كل من ذهب الى رأي محتجا عليه ، ومبرهنا بما غلب على ظنه ، بعد بذل قصارى جهده ، وصلاح نيته ، في توخي الحق ، فلا ملام عليه ولا تثريب ـ لانه مأجور على أي حال ، ولمن قام عنده دليل على خلافه ، واتضحت له الحجة في غيره ، ان يجادله بالتي هي احسن ، ويهديه الى سبيل الرشاد ، مع حفظ الاخوة ، والتضافر على المودة والفتوة : هـذا ما قلته ثمة مما يبين انه لو كانت الفرق التي رميت بالابتداع تهجر لمذاهبها ، وتعادى لاجلها ، لما اخرج البخاري ومسلم وامثالهما لامثالهم . ثم إن هؤلاء المبدعين وامثالهم لم يكونوا

{١} مطبوع مرتين في الهند ومصر {٢} مطبوع بدمشق

معصومين من الخطأ حتى يعدوهم الانتقاد ، ولكن لا يستطيع احد ان يقول : انهم تعمدوا الانحراف عن الحق ، ومكافحة الصواب عن سوء نية ، وفساد طوية ، وغاية ما يقال في الانتقاد في بعض آرائهم : انهم اجتهدوا فيه فاخطؤا ، وبهذا كان ينتقد على كثير من الاعلام سلفا وخلفا لأن الخطأ من شأن غير المعصوم ، وقد قالوا : المجتهد يخطئ ويصيب : فلا غضاضة ولا عار على المجتهد ان اخطأ في قول أو رأي ، وانما الملام على من ينحرف عن الجادة عامدا متعمدا ، ولا يتصور ذلك في مجتهد ظهر فضله ، وزخر علمه

{ رد القول بمعاداة المبدعين }

قدمنا ان رواية الشيخين وغيرهما من المبدّعين تنادي بواجب التآلف والتعارف ، ونبذ التناكر والتخالف ، وطرح الشنآن والمحادة ، والمعاداة والمضارة ، لان ذلك انما يكون في المحاربين المحادين ، لا في طوائف تجمعها كلمة الدين ، ومن الاسف ان يغفل عن هذا الحق من غفل ، ويدهش لسماعه المتعصبون والجامدون ، ويحق لهم ان يذعروا لهذا الحق الذي فجأهم – لانه مات منذ قضى عصر الرواية والرواة ، وانقضى زمن المحدثين والحفاظ ، ودال الامر بعد الاخبار النبوية للآراء والاقوال ، وصار الحق – بعد ان كانت الرجال تعرف به – يعرف بالرجال ، واصبح مشرب أمثال البخاري وغيره نسيا منسيا ، ونشر لواء التعادي والتباغض في الامة وكان مطويا ، وسبّب على الامة من التفرق والانقسام ، ما اورثها الضعف والانفصام ، فبعد ان كان التسامح في التلقي عن الحكماء والفضلاء من اي طبقة – دركنا ركينا في حضارة الاسلام ، خافه التخاذل

والتدابر والتعصب والملام ، ولم يكف ذلك حتى ادعي انه من الدين، مع ان الدين يأمر بالتآخي ونبذ التفرق في محكم كتابه المبين

(ومن العجب) ان يقول قائل : لا يلزم من الرواية عنهم عدم معاداتهم ، اي يجوز ان نروي عن راوٍ ، مع التدين بمعاداتنا له ، وبغضنا اياه !

(فنجيب عنه) بانا لا نعرف من قال ذلك من السلف ، ولا من ذهب اليه من الائمة ، والرواية يراد بها هنا تلقي اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وهديه وتشريعه واقضيته ، وفتاويه وشمائله ، لتتخذ ديناً يدان الله به ، وشريعة يقضي بها في التنازع ، ومرجعا تحل به المشكلات ، فهل ينافي ذلك عمن يجب علينا معاداته في الدين ؟ وكيف يتصور ان نأخذ الدين عمن نرى انه عدو للدين ؟؟ سبحان الله ماهذا التناقض ، ان من يأمرك الدين بأن تعاديه لا يبيح لك ان تأخذ دينك وشريعتك وعقيدتك عنه ، ومن المسلم بأن هذا الراوي أداه اجتهاده الى مارأي ، ومن أداه اجتهاده الى مارأى كيف يعادى ، وقد بذل قصارى جهده ، وليس قصده الا الحق ، والتقرب الى الله سبحانه وتعالى ، وكيف يعادى من اثبت له الشارع الاجر ولو كان مخطئا ، وانما يعادي الآثم لا المأجور

(رد القول بتفسيق المبدعين)

اغرب من ذلك قول البعض بتفسيق من يبدّعه ، وان بلغ ذروة الاجتهاد ، واصبح معذوراً لا ملام عليه عند الله والملائكة والنبيين ، لا بل

قد تفضل عليه الشارع بالاجر . ومتى عهد تفسيق مجتهد اذا اخطأ في المسائل الاجتهادية ؟ وهل يمكن لمثل البخاري — وهو ماهو في نقد الرجال — ان يضم الى صحيحه من مجتهدي الفرق من كان فاسقا ليصبح جانب من كتابه مرويا للفسقة وقد جمعه ليجعله حجة بينه وبين ربه ؟ وهل يعقل ان يجعل رواية الفاسق حجة عند المولى ؟ هذا مايلزم من تفسيق من يفسق من الرواة فليحكم المتعصب النظر ، وليتدبر في المآل ، قبل ان يأخذ في المقال .

نعم ذهبت طائفة الى تفسيق من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد كما نقله الامام ابن حزم في كتابه الفصل [1] الا انه قول مردود ولذا قال الامام ابن حزم رضي الله عنه : وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا ، وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال : ان اصاب الحق فاجران ، وان اخطأ فأجر واحد. قال : وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم ، وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم ، لا نعلم منهم في ذلك خلافا اصلا اهـ كلامه

فأين هذا من التسرع في التفسيق ، وتقليد من قاله من المتأخرين المقلدين الذين ليسوا بأئمة متبوعين ، ولا قولهم حجة في الدين ، ولا استندوا الى دليل أو برهان (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)

(١) جزء ٣ صفحة ٢٤٧

{ خطر النبز بالفسق ، ومعنى الفسق }

ان النبز بالفسق ليس بالامر السهل ، لان الفسق كثيرا ماجاء في القرآن الكريم مقابلا للايمان - كآية : (افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) وامثالها ، ولذا قيل بان عطف قوله تعالى « والفسوق » على قوله « والكفر » عطف تفسير - في آية : (وكره اليكم الكفر والفسوق) وان احتمل أن يكون غيره اشارة الى نوع آخر ، الا ان النظائر والاشباه في موارده في التنزيل ، تدل على انه عطف تفسير ، وهب انه كان غير الكفر فهو شيء قريب منه ، ونوع انزل منه بدرجة ، وناهيك به . واليك ماقاله فيه ائمة اللغة وفلاسفتها . قال الجوهري في (الصحاح) : فسق الرجل فجر ، وفسق عن امر ربه - أي خرج : وفي المصباح : فسق فسوقا : خرج عن الطاعة ، والاسم الفسق ، ويقال اصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد يقال : فسقت الرطبة — اذا خرجت من قشرها وفي القاموس : الفسق الترك لامر الله ، والعصيان ، والخروج عن طريق الحق ، أو هو الفجور — كالفسوق (وقال الامام الراغب الاصفهاني في مفرداته) : فسق فلان : خرج عن حجر الشرع ، وذلك من قولهم فسق الرطب — اذا خرج عن قشره . وهو اعم من الكفر (قال) : والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ، لكن تعورف فيما كان كثيرا ، واكثر مايقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ، ثم اخل بجميع احكامه او ببعضه . واذا قيل للكافر الاصلي فاسق - فلانه اخل بحكم ما الزمه العقل واقتضته الفطرة ، (الى ان قال) فالفاسق اعم من الكافر اه

وقال الامام محمد بن مرتضى اليماني في كتابه (ايثار الحق) في (فصل في الفسق) مانصه : واما العرف المتأخر : فالفسق يختص بالكبيرة من المعاصي مما ليس بكفر ، والفاسق يختص بمرتكبها اه

فانت ترى من هذا كله ان الفسق مدلوله الكبائر والمعاصي العظائم لانه دائر بين الكفر وما يقرب منه ، واذا كان هذا مدلوله الشرعي ، ومعناه العرفي ، فكيف يجوز ان يوصف به عالم ثبت ثقه من ذوي الالباب وأولي الاجتهاد لمجرد انه اداه اجتهاده الى رأي يخالف غيره مع انه لم يقصد الا الحق ، ولم يتوخ الا مارآه الاوفق ، اذ لم يأل جهدا في اهتمامه بما يراه الصواب ، وان كان في نظر غيره على خلاف ذلك ، اذ هذا من لوازم المسائل النظرية ، ومتى عهد ان يفسق المخالف فيها أو يضلل ، لاجرم انه بدعة قبيحة ، وجناية في الدين كبيرة

وقد قال كثير من ائمة التفسير في قوله تعالى : (ولا تنابزوا بالالقاب) هو قول الرجل للرجل : يافاسق ، رواه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة . وقال قتادة : يقول تعالى . لا تقل لاخيك المسلم ذاك فاسق ، ذاك منافق ، نهى الله المسلم عن ذلك ، وقدم فيه . وقال ابن زيد : هو تسميته بالاعمال السيئة ـ بعد الاسلام ـ زان فاسق (ثم قال ابن جرير): والتنابز بالالقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم او صفة ، وعم الله بنهيه ذلك ، ولم يخصص به بعض الالقاب دون بعض ، فغير جائز لاحد المسلمين ان ينبز اخاه باسم يكرهه ، أو صفة يكرهها (ثم قال) : وقوله تعالى : (ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) ـ اي ومن لم يتب من نبزه اخاه بما نهى الله عن نبزه من الالقاب ، او لمزه اياه

او سخريته منه ، فاولئك هم الذين ظلموا انفسهم فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه . ولما لم يكن عند من يرمي اخاه بالفسق الا الظن جاء النهي عن سوء الظن اثر تلك الآية في قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا ؟ فكرهتموه . واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم) ولما كان الرمي بالفسق مدعاة لتفرق القلوب واثارة الشحناء ، على عكس حكمة الله تعالى في خلقه الخلق للتعارف والتآلف ، جاء ذلك على اثر ما تقدم بقوله سبحانه : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير) فليتدبر المتقي هذه الآيات الكريمة وليقف عند اوامرها وزواجرها ، وليعتبر وليستعبر . قال السيد الطباطبائي في المفاتيح (١) : الفسق ان يتحقق بفعل المعصية المخصوصة مع العلم بكونها معصية ، أما مع عدمه ، بل مع اعتقاد انه طاعة ، بل من امهات الطاعات فلا . والامر في المخالف للحق كذلك ـ لأنه لا يعتقد المعصية ، بل يزعم ان اعتقاده من اهم الطاعات سواء كان اعتقاده صادرا عن نظر أو تقليد ، ومع ذلك لا يتحقق الفسق ، وانما يتفق ذلك ممن يعاند الحق ـ مع علمه به ، وهذا لا يكاد يتفق ، وان توهمه من لا علم له اهـ

فترى من العجب بعد ما ذكرناه ان يوسم بالفسق من لا يحل وسمه به ـ لان معناه لا ينطبق عليه بوجه مّا ، على انه ورد تسمية رواه

---

(١) في النقل عن هذا السيد الامامي الكبير رحمه الله حجة على متعصبة الامامية في تسميتهم مخالفيهم أيضا

الحديث خلفاء فيما رواه الطبراني والخطيب وابن النجار وغيرهم عن علي مرفوعا « اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي ، يروون احاديثي وسنتي ، ويعلمونها الناس »

اذا علمت هذا فماذا يقال في هؤلآء المفسقين؟ أجهلوا المعنى العرفي للفسق ام تجاهلوا ؟ ام اجتهدوا فاداهم اجتهادهم ام قلدوا ؟ لا غرو انهم جهلوا وقلدوا ، ويا ليتهم قلدوا اماما متبوعا ، بل قلدوا أواخر المقلدة الجامدة المتعصبة . ولو نظروا في تراجم الرجال ، وتدبروا سيرة كثير من اولئك المبدعين الابطال ، لعلموا ان رميهم بالفسق يكاد ان يهتز له العرش . خذ لك مثلا من شيوخ المعتزلة عمرو بن عبيد ، وانظر في ترجمته الى زهده وتقواه . قال الذهبي في الميزان : وقد كان المنصور الخليفة العباسي الشهير يخضع لزهد عمرو وعباده يقول شعرا :

(كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد)

وذكر ابن قتيبة في (المعارف) ان المنصور رثي عمرو بن عبيد فقال شعرا :

صلى الاله عليك من متوسد قبرا مررت به على مران

قبرا تضمن مؤمنا متحنفا صدق الاله ودان بالقرآن

لو ان هذا الدهر ابقى صالحا ابقى لنا حقا ابا عثمان

هذا هو التوثيق — اعني توثيق الملوك — لان كلام الملوك ملوك الكلام . وما غمز به فكله — ان انصفت — من عصبية التمذهب ، والجمود في التعصب

نحن لا نقول هذا تحزبا للمعتزلة او لغيرهم معاذ الله فانا في الرأي مستقلون ، ولسنا بمقلدين ولا متحزبين ، ولكن هو الحق والانصاف ، وما قولك في قوم يرون مرتكب الكبيرة كافرا او مخلدا في النار ؟

أليس في هذا نهاية التعظيم للدين ، وغاية الابتعاد عن المعاصي ، والإشعار بامتلاء القلب من خشية الله عما يزع عن الكذب والافتراء ؟ بلى! وألف بلى ! فاني يستجيز عاقل بعد ذلك تفسيقهم وهم على ما رأيت من التمسك بدين الله ، والتصلب في المحافظة على حدوده؟ فتدبر وانصف، على ان خبر الفاسق مرغوب عنه في نظر العقل ،ساقط الاحتجاج به في اصول الشرع ، ولذا امرنا بان نتبينه ولا نلوي عليه بادئ بدء ، فكيف يحكم صاحبه في السنة والاحكام ؟

قال الامام الحجة مسلم ـ في مقدمة صحيحه في باب وجوب الرواية عن الثقات ، وترك الكذابين ، والتحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ما مثاله : اعلم وفقك الله ان الواجب على كل احد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ، وثقات الناقلين لها من المتهمين ـ ان لا يروي منها الا ما عرف صحة مخارجه ، والستارة في ناقليه ، وان يتقي منها ما كان عن أهل التهم ، والمعاندين من أهل البدع[1] (قال) والدليل على ان الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقال (واشهدوا ذوي عدل منكم) قال : فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول ، وان شهادة

---

(١) من هنا يعلم ان رواة الصحيحين المتكلم فيهم لا يوصفون بالابتداع ـ لان مسلما رحمه الله اوجب ان لا يروى عن مبتدع ، فبالاولى البخاري ـ لان شرطه ادق ، ولذلك قلت في عنوان المقالة (المبدعون) اشلاما بأن خصومهم لقبوهم بالمبتدعة ، والافهم مجتهدون والمجتهد وان اخطأ لا يوصف بالابتداع ـ كما اسلفناه ، ونبسطه الآن اه منه

غير العدل مردودة . والخبر ان فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه ، فقد يجتمعان في اعظم معانيهما ـ اذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم ، كما ان شهادته مردودة عند جميعهم. ثم روى عن سلام قال بلغ ايوب اني آتي عمرا [1] ، فاقبل علي يوما فقال : ارأيت رجلا لا تأمنه على دينه ، فكيف تأمنه على الحديث . فدل ذلك على ان من ائتمنه الشيخان على الحديث ، فقد ائتمنوه على الدين ، ومن ائتمن على الدين فليس فاسقا ولا مبتدعا

(ثم قال الامام مسلم) وانما ألزموا ـ يعني العلماء ـ انفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث وناقلي الاخبار وافتوا بذلك حين سئلوا ـ لما فيه من عظيم الخطر اذا الأخبار في امر الدين انما تأتي بتحليل او تحريم ، او امر ، او نهي ، او ترغيب ، او ترهيب ، فاذا كان الراوي لها ليس بمعدن الصدق والامانة ، ثم اقدم على الرواية عنه من قد عرفه ، ولم يبين ما فيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثما بفعله ذلك ، غاشا لعوام المسلمين ، اذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الاخبار ان يستعملها ، او يستعمل بعضها ، ولعلها او اكثرها اكاذيب لا أصل لها ، مع ان الاخبار الصحاح من رواية الثقات واهل القناعة اكثر من ان يضطر الى نقل من ليس بثقة ولا مقنع اه

فهل بعد هذا يجوز غمز بعض من روى لهم الشيخان من اولئك الاعلام المبدعين ؟ لا جرم انه لأمر مّا عني البخاري ومسلم بالتخريج عنهم ، واخذ السنة منهم ، وتبليغها للأمة ، وجعلها حجة بينه وبين ربه .

(١) هو عمرو بن عبيد المتقدم وكلام ايوب فيه من كلام المعاصرين بعضهم في بعض وهو مطروح كما نبه عليه ابن عبد البر في كتاب جامع العلم

وما ذاك الا اجلالا لفضلهم ، وانصافا لقدرهم

انظر كيف يتحمل مثل البخاري عن اعلام الشيعة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج ، ويجعل حديثهم حجة ، ومرويهم سنة ، ويفخر بذكر اسمائهم في اسانيده ، ويخلد لهم اجمل الذكر ، في اشرف مصنف . انظر هذا وقابل بينه وبين جمود المتأخرين ، ورميهم علماء الفرق بالفسق والابتداع والضلال ، وهجرهم لعلومهم ، وصد الناس عنهم ، حتى فات الناس ـ واأسفا ـ علم جم ، وخير كثير ، ولئن دون ما دون من معارفهم ، فما بقي من فوائدهم في خزائن صدورهم مما كان يستثار بالاخذ عنهم ، وينال بمجالسهم = اوسع واوفر ، افليس في جمود هؤلاء على ما ذكر عقوق لسلفهم الصالح ؟ بلى ! وما يضرون الا انفسهم لو كانوا يشعرون ،

بما ذكرناه استبان لك الخطأ في نبز رواة الصحيح بالفسق والابتداع ، وانه تعصب يجب التنبيه له ، والحذر منه . نحن انما نصدع بهذا ـ تفقها من مشرب البخاري ومذهبه ، وموافقة له في رأيه الذي لانشك في انه الصواب الذي تدعو اليه الاخوة الايمانية ، والانصاف مع كل راوٍ مجتهد من هذه الامة لا يروم الا الحق ، ولا يسعى الا اليه ، ولا يتحمل الأذى والاضطهاد الا لاجله ـ اذ لم يصب من رأيه وما دعا اليه لادنيا ولا جاها ، ولا ملكا ، فأي دليل ادل على حسن نيته من هذا ؟ وبالجملة فتسمية المتفقهة بعض الرواة فسقة جهل بما قاله الاصوليون من أن الفاسق مردود الشهادة والرواية [1] ومن قبل الشيخان وغيرهما خبره

(١) المستصفى جزء (١) صفحة (١٥٨)

وحكموه في السنة ، واخذوا عنه ، فهل يكون فاسقا؟ على ان اجماعهم على تلقي الصحيحين بالقبول موجب لتعديل رواتهما جميعا ـ لان التلقي بالقبول فرع صحة الحديث ، وهو انما يكون من صحة سنده ، وهو من عدالة رجاله وتوثيقهم . ولذا قالوا فيمن خرج له الشيخان : جاز القنطرة . بمعنى انه لا يلتفت الى ما غمز فيه . وبالجملة فمشرب المحدثين في التسامح ونبذ التعصب هو الذي تقتضيه الاصول ، وتقبله العقول ، وما احدث من النبز بالفسوق للبعض فلا سند له ـ لان دعوى فسق الانسان انما يكون باتيانه ما فسقه الشارع به ، ونص عليه كتاب او سنة نصا قاطعا لا يحتمل التأويل ، واما مسائل الاجتهاد فلا يصح ذلك فيها بوجه من الوجوه

والحاصل ان لا تفسيق ولا تضليل ، مع الاجتهاد والتأويل ، وان كان ليس كل اجتهاد صوابا ، ولا كل تأويل مقبولا ، ولكن كلامنا في ذات المجتهد والمأول

فمن لم يأل جهدا فلا ملام عليه ولا كلام ، لا بل يتحمل منه الدين ، ويتلقى عنه الهدي النبوي ، ويحكم في السنة ، على هذا جرى البخاري ومسلم وغيرهما من اقطاب الحديث والاثر ، وهو الصواب ، بلا ارتياب . وقد نقل الغزالي في المستصفى [(١)] عن الشافعي انه قال : تقبل شهادة أهل الاهواء الا الخطابية من الرافضة ، لانهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم في المذهب (ثم قال) ويدل على مذهب الشافعي قبول الصحابة قول الخوارج في الاخبار والشهادة ، وكانوا فسقة متأولين ، وعلى قبول ذلك درج التابعون ـ لانهم متورعون عن الكذب ، جاهلون بالفسق اه

(١) جزء {١} صفحة { ١٦٠ }

فترى من هذا ان الصحابة قبلوا خبرهم ، وما ضرهم تسمية الفقهاء لهم بالفسقة ، لانه فسق بمعنى مخالفة غيرهم ، وهذا الاطلاق اصطلاحي للفقهاء، ورعا رجع الخلاف ـ في تسمية اولئك فساقا ـ لفظيا ، والا فيستحيل ارادة الفسق الحقيقي المانع للشهادة والرواية ـ كما قدمنا ـ ومعلوم انه لا يكون مذهب حجة على مذهب ، ولا عرف برهانا على عرف ، وانما الحجة والبرهان قواطع الكتاب والسنة . ولما كان البحث المذكور في غاية من الدقة ، ترى الكلام في مطولات الاصول مضطربا متشعب الاقوال ، حتى اختلفوا لذلك في ماهية العدالة ويقرب لمذهب المحدثين فيها قول بعض أهل العراق : العدالة عبارة عن اظهار الاسلام فقط ـ مع سلامته عن فسق ظاهر اه

(جواب شبهة)

رب قائل يقول : كيف لا يفسق هؤلاء وقد خالفوا بتأويلهم النصوص من الكتاب والسنة ؟

فنقول : قدمنا ما يمنع تسميتهم فسقة شرعا ولغة ، ولذا جاء في مسلم الثبوت — من كتب الاصول — ما مثاله : لك ان تمنع كون المتدين من اهل القبلة فاسقاً بالعرف المتقدم الذي عليه القرآن الكريم — وهو شموله للكافر والمؤمن المرتكب الكبيرة اه وقال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء : مهما اعترضت على القدري في قوله « الشر ليس من الله» اعترض عليك القدري ايضا في قولك « الشر من الله » وكذلك في قولك « ان الله يرى » وفي سائر المسائل ، اذ المبتدع محق عند نفسه ، والمحق مبتدع عند المبتدع ، وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا اه

وبالجملة فهم مخالفون بنظر غيرهم ، واما عند انفسهم فغيرهم هو المخالف وهم الموافقون ، وحاشا المؤمن عالم ان يخالف كتابا او سنة عامدا متعمدا ، فهم مجتهدون مثابون اذ لم يألوا جهدا فيما ذهبوا اليه ، وان كنت لا تقول به وترى الحجة فيما انت عليه . على ان ما تسميه انت نصا هم يرونه ظاهرا ، اذ دعوى نصيته الشيء ليست بالامر اليسير — لان النص هو القاطع في معناه ، المفيد لليقين في فحواه ، وهذا انما يكون في محكمات الدين ، واصوله التي لم يختلف فيها الفرق كلها ، واما ما عداه فكلها ظواهر ، وقد يراها البعض باجتهاده نصا ، وليس اجتهاد مجتهد بقاض على اجتهاد آخر. وعلى من يريد تحقيق هذا ان يراجع مطولات الخلاف ، ويطالع مآخذ المجتهدين ، ومن انفع ما الف في هذا الباب كتاب (رفع الملام ، عن الائمة الاعلام) لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فانه جدير لو كان في الصين ان يرحل اليه ، وان يعض بالنواجذ عليه ، فرحم الله من اقام المعاذير للائمة ، وعلم ان سعيهم انما هو الى الحق والهدى — كما اسلفنا — وبالله التوفيق

(جواب شبهة اخرى)

يزعم بعضهم بأنه : يحتمل ان يكون الراوي تحمل عن المبدّع قبل تمذهبه بذلك المذهب ، وهذا جهل بمذاهب الرواة ، ومشارب الرجال ، فان كل من الف في نقد الرجال لم يذكر في المشاهير منهم انه كان على مذهب كذا ، او ان الحافظ الفلاني تحمل عن فلان قبل تمذهبه بمذهب كذا ، ومثل هذا انما يؤخذ عن النقلة الاثبات ، كالمصنفين في احوال الرجال ، ولا يمكن الاجتهاد فيه بحال من الاحوال ، ولذا تراهم

يقولون في ترجمة الراوي : كان خارجيا . ونحو ذلك قولا واحدا . وحبذا ان يكون ما ذكره مأثورا عن امام مؤرخ مشهور . واما القول بالاحتمال ، فاذا فتح اورث الاضمحلال ، لكل ما يعول عليه في الاستدلال، ــ ومثل ذلك ما يقال : يحتمل ان يكون روى عنه وهو غير عالم بما هو عليه من فساد العقيدة ! فهذا بزيد عما قدمنا من الجهل بمذاهب الرواة تجهيل أئمة الحديث ، ووصمهم بما هم برآء منه من الغباوة والبلاهة ، وانهم يتحملون عمن لا يعرفون مذهبه ولا مشربه ، وانهم كحاطب ليل ، نعوذ بالله من ذلك . وأي عاقل يجرأ على مثل ذلك في البخاري صاحب التاريخ في الرجال ؟ بل من دونه من ارباب السنن وغيرهم ممن تكلم في الجرح والتعديل ، وميز بين صحيح الحديث وضعيفه ــ لثقة رجاله أو ضعفهم . وهل يعقل في صحاح ، وسنن ، ومسانيد ، وموطآت ، عليها مدار أدلة الاحكام ، وحجج الفروع ، صنفت على الاسانيد المنوعة والمكررة بالاسماء والكنى والالقاب = ان يكون جامعوها لا يدرون مشرب رجالها ولا ما يتحلونه ــ مع ان العامي والامي نراه اذا خدم عالما لا يخفى عليه مشربه ومذهبه ورأيه وفكره . فكيف بعالم مؤلف ، لا بل بامام مجتهد يستنبط الاحكام من الاحاديث ويترجم عليها ، ويزاحم من تقدمه من الائمة في التخريج والرد والاستدراك والتفريع والتأصيل ، الا يدري مذهب رجال اسناده ونحلتهم ــ وهم عمدته في الاستدلال ، وركنه في الاحتجاج ؟؟ بلى ! ثم بلى ! وهو اجلى من ان يبرهن عليه ، او يرد على من كابر فيه . ولقد كان علم الجرح والتعديل ، ومعرفة طبقات الرجال وتراجمهم من اوائل ما يدريه طلاب الحديث ومريدو التحمل

عن الحفاظ ، ولكن من اين يدري ابناء هذا الجيل، ما كان عليه السلف من فنون التحصيل، وقد اندرست تلك العلوم، ولم يبق منها ولا الرسوم، فانا لله وانا اليه راجعون

وأما قول بعضهم : فكيف يستدل باخراج الشيخين على عدم جواز المعاداة ـ مع قيام هذه الاحتمالات، وكيف يسوغ الانسان ان يتمسك بالمحتمل الذي لا تقوم به حجة ، فقد علمت سقوط هذه الاحتمالات ، وانها اشبه بالاوهام والخيالات ، والتلاعب في الحقائق الواضحات . والمحتمل الذي تقوم به حجة هو الذي يتطرق اليه احتمال معقول ،أو تأويل مقبول ، جار على قوانين التأويلات ، والاوجه المعروفة في نظائره . واما احتمال في مقابلة حقيقة ثابتة ، وأمر واضح ، فلا يقال له احتمال ، وانما هو تلاعب وهوس خيال ، يقول ائمة الجرح والتعديل في كتبهم عن راو ـ ممن خرج له الشيخان أو احدهما ـ انه شيعي ، أو خارجي، أو قدري، أو مرجئ ، ثم يأتي من يريد ان ينقض هذا بالاحتمال ، وهو لم يضرب في هذا الفن بسهم ، ولا يمكن ان يرجع اليه في رأي ولا علم ، كيف لا وقد اجتمعوا على الرجوع الى أئمة الفن في هذا الباب ، لانه أمر لم يبق فيه مجال ولا نظر ولا احتمال ، وهذا من البديهيات الغنية عن الحجة والبرهان

(رفع وهم في عبارة للبخاري)

وأما زعم ان قول البخاري في جزء رفع اليدين : «كان زائدة لا يحدث الا أهل السنة اقتداء بالسلف» : يخالف ما استنبطناه ـ فعجيب جداً لانه لا شاهد فيه ، ولا يناسب بحثنا حتى يخالفه ، لان زائدة رحمه الله كان

يمتنع عن تحديث غير أهل السنة ـ أي إسماعهم الحديث واقرائهم اياه ـ وذلك في التلاميذ منهم والمبتدئين في طلب الحديث الذين يبغون التلقي والسماع ـ وقد انتموا الى غير مذهب أهل السنة . فكان زائدة يجافي تحديثهم اقتداء بمن رآه من سلفه كذلك ، ولا منازعة في الوجدانيات ، ولا يكلف المرء مالا يطيقه ، فمن كانت نفسه لا تحب إسماع من كان كذلك، فله الخيرة ولا جناح عليه في ترك الاسماع . لاسيما لتلاميذ لم يتأهلوا بعد للنظر والوقوف على التحقيق ، فمثلهم انما يكون مقلداً لا مجتهدا . وأما حفاظ شيوخ ، ذوو علم ورسوخ ، اوتوا من العلم والفضل ما أهلهم للتحمل عنهم ، والاستفادة من علمهم ، بحيث طارت شهرتهم ، وتفوقوا على غيرهم، فلا دخل لكلام زائدة فيهم ، ولا يشملهم مشربه ، وهكذا نحن نقول: لا ينبغي لاستاذ ان يشرح صدره لتلاميذ اغرار ، انتحلوا غير مايراه الحق بدون نظر أو فكر ، بل تقليدا أواتباعا لكل ناعق

وأما من بلغ مرتبة الرسوخ والافادة ، وكان على جانب عظيم من العلم ، وانتحل ماانتحل عن اجتهاد ونظر ، فلا يرتاب أحد في العناية بالاخذ عنه ، والتلقي منه ، كما فعل الأئمة امثال البخاري واشياخه ، فكلام زائدة من وادٍ ، وما نقوله من وادٍ آخر . وهكذا يقال فيمن حكي عنهم من المرجئة من أهل بلخ ، وأما قوله · ولقد رأينا غير واحد من أهل العلم يستتيبون أهل الخلاف ، والا اخرجوهم من مجالسهم . فهو يعني به من ذكرناه من التلاميذ لقوله « والا أخرجوهم » وهل يخرج الا المتعلم الضعيف في العلم والفهم ، المتطفل على ماليس له بأهل ، وشتان بين من يخرج من مجلس الحديث من أهل الخلاف وبين من يرحل اليه ويتحمل عنه منهم ـ كرجال

الشيخين وغيرهما من هؤلاء ، ولو اطرد الابتعاد عن هؤلاء أو إبعادهم لما تاقى عنهم امثال الشيخين ، وخلد اسماءهم ومروياتهم في أصح الكتب بعد التنزيل الكريم . وقد يكون مراد البخاري بأهل الخلاف أهل الرأي جموداً وتقليداً المؤثرين آراء الفقهاء على صحيح السنة ـ لان كتابه المذكور وهو « جزء رفع اليدين » في مناقشة أهل الرأي وحجهم بصحيح السنة على رأيهم . وقد تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل الرأي [١] فلا تكاد تجد اسما لهم في سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن، وان كنت أعد ذلك في البعض تعصبا ، اذ يرى المنصف عند هذا البعض من العلم والفقه ما يجدر أن يتحمل عنه ، ويستفاد من عقله وعلمه ، ولكن لكل دولة من دول العلم سلطة وعصبة ذات عصبية ، تسعى في القضاء على من لا يوافقها ولا يقلدها في جميع ما تيها ، وتستعمل في سبيل ذلك كل ما قدر لها من مستطاعها ، كما عرف ذلك من سبر طبقات دول العلم ، ومظاهر ما أوتيته من سلطان وقوة . ولقد وجد لبعض المحدثين تراجم لائمة أهل الرأي يخجل المرء من قراءتها فضلا عن تدوينها ، وما السبب الا تخالف المشرب على توهم التخالف ، ورفض النظر في المآخذ والمدارك ، التي قد

---

(١) كالامام ابي يوسف والامام محمد بن الحسن فقد لينهما أهل الحديث — كما ترى في ميزان الاعتدال ، ولعمري لم ينصفوهما وهما البحران الزاخران ، وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما ، بل بتقدمهما على كثير من الحفاظ . وناهيك كتاب الخراج لابي يوسف وموطأ الامام محمد . نعم كان ولع جامعي السنة بمن طوف البلاد ، واشتهر بالحفظ ، والتخصص بعلم السنة وجمعها ، وعلماء الرأي لم يشتهروا بذلك لاسيما وقد اشيع عنهم انهم يحكمون الرأي في الاثر ، وان كان لهم مرويات مسندة معروفة ، رضي الله عن الجميع ، وحشرنا واياهم مع الذين انعم الله عليهم

يكون معهم الحق في الذهاب اليها ، فان الحق يستحيل ان يكون وقفاً على فئة معينة دون غيرها ، والمنصف من دقق في المدارك غاية التدقيق ثم حكم بعد .

ومما نعده تعصبا ما حكاه الامام البخاري في «جزء رفع اليدين» المذكور من اخراج اهل الخلاف من مجالس الحديث حتى يستتابوا ، وحمل قاضي مكة سليمان بن حرب على الحجر على بعض علماء الرأي من الفتوى ، وما ذلك الا من سلطة دولة الاثريين وقتئذ ، وقيامهم بالتشديد ضد غيرهم ، وبعد التسامح الذي كان عليه الصحابة والتابعون في ان يفتي كل بما يراه بعد بذل جهده في المسألة دون تعنيف او اضطهاد ـ لا جرم ان سنة كل قوم ـ آنسوا من انفسهم قوة وسلطانا ـ ان يستعملوا لبث مذهبهم ونشره هيمنة الحاكم وسيطرته ، ولا سيما اذا كان منهم وعلى شاكلتهم وهو مستبد في عمله وما يمضيه فحدث هناك ولا حرج . انظر الى القدرية لما دالت لهم دولة العلم ايام المأمون ماذا جرى منهم مع من لم يقل بمشربهم ولم يستجب لدعوتهم ، فقد ضربت ائمة واهينوا وسجنوا الاعوام وأوذوا مما دونه التاريخ واحصاه على هؤلاء المتعصبين ، وكان نقطة سوداء في تاريخ حياتهم ، وان كانوا يزعمون مقاومة الحشو والجمود ، وتنوير الاذهان بعلوم الاوائل مما اخذوا بتعريبه ، وجهدوا في نشره ، الا ان الغلو كان رائدهم ، والبطش قائدهم ، ولكن هي السكرة ، التي يذهب معها صحيح الفكرة (اعني سكرة الدولة والغلبة ، والسلطة والقوة) فما من دولة

الا ونقم عليها شيء من ذلك - كما يدريه من سبر اخبار الدول وفلسفة حياتهم، ومظهر آرائهم وآمالهم

وكذلك قل عن الفتنة التي فر من اجلها امام الحرمين من العراق الى الحجاز حينما دالت دولة الحنفية، وثارت عصبيتهم على الشافعية والاشعرية. قال التاج السبكي في طبقاته[1] في ترجمة الامام ابي سهل الشافعي: انه لما بلغ من سمو المقام ان ارسل اليه السلطان الخلع وظهر له القبول عند الخاص والعام، حسده الاكابر وخاصموه، فكان يخصمهم ويتسلط عليهم (قال) فبدا له خصوم واستظهروا بالسلطان عليه وعلى اصحابه (قال) وصارت الاشعرية مقصودين بالاهانة والمنع عن الوعظ والتدريس، وعزلوا من خطابة الجامع - (قال) وتبع من الحنفية طائفة اشربوا في قلوبهم الاعتزال والتشيع، فخيلوا الى اولي الامر الإزراء بمذهب الشافعي عموما، وبالاشعرية خصوصا - (قال) وهذه هي الفتنة التي طار شررها، وطال ضررها، وعظم خطبها، وقام في سب اهل السنة خطيبها، فان هذا الامر ادى الى التصريح بلعن اهل السنة في الجمع، وتوظيف سبهم على المنابر، وصار لابي الحسن الاشعري بها اسوة بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، واستعلى اولئك في المجامع، فقام ابو سهل في نصر السنة قياما مؤزرا، وتردد الى المعسكر في ذلك ولم يفد، وجاء الامر من قبل السلطان (طغرلبك) بالقبض على الرئيس الفراتي، والاستاذ ابي القاسم

(١) في ترجمة محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين الامام الكبير ابو سهل. جزء (٣) صفحة ٨٥ و ٨٦

القشيري ، وامام الحرمين ، وابي سهل ابن الموفق ، ونفيهم ومنعهم عن المحافل . وكان ابو سهل غائبا في بعض النواحي ، فلما قرأ الكتاب بنفيهم اغرى بهم الغاغة والأوباش ، فاخذوا بالاستاذ ابي القاسم القشيري والفراني يجرونهما ويستخفون بهما ، وحبسا بالقهندر . وبقيا في السجن متفرقين اكثر من شهر (واما امام الحرمين فانه كان احس بالامر فاختفى وخرج على طريق كرمان الى الحجاز)

وفي شرح الاقناع [1] قال ابن عقيل : رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم الا العجز ، ولا أقول العوام بل العلماء ـ كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في ايام ابن يونس ، فكانوا يستطيلون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع حتى ما يمكنوهم من الجهر بالبسملة والقنوت ـ وهي مسألة اجتهادية ـ فلما جاءت ايام النظام ، ومات ابن يونس وزالت شوكة الحنابلة ، استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة ، فاستعدوا بالسجن ، وآذوا العوام بالسعايات والفقهاء بالنبذ بالتجسيم ، (قال) فتدبرت أمر الفريقين ، فاذا بهم لم تعمل فيهم آداب العلم ، وهل هذه الا افعال الاجناد يصولون في دولتهم ، ويلزمون المساجد في بطالتهم ، اه

ولدينا من القصص في عجائب ماروى التاريخ من التعصب مالا يسعنا الا امساك القلم عن نشره إبقاء على هذه البقية الباقية ، وفي الاشارة مايغني عن الكلام ، ولا حول ولا قوة الا بالله

وكل ذلك من التفرق الذي نهى عنه الدين ، لما يستتبعه من الأرزاء التي تعمل في اساسه المتين ، ويكفي ماجنت وتجني الامة من ويلاته

---

(١) صفحة ١٣٠٩ من مطولات كتب الحنابلة في الفروع

الى هذا الحين ، حتى فشلت وذهب ريحها امام اعدائها الكافرين ، والمستعان بالله

(دره وهم واشتباه)

يقول بعضهم : ان مسلما روى عن ابن عباس انه قال في نجدة الحروري: لولا ان أرده عن نتن يقع فيه ما كتبت اليه ولا نعمة عين : قال النووي: كان ابن عباس يكرهه لبدعته وهي كونه من الخوارج

والجواب انه لا يلزم من كراهة الفرد كراهة المجموع ، والا لما خرج لثقاتهم وعلمائهم الشيخان وغيرهما، وهل يؤخذ الجمع بجريرة الفرد؟ على ان نجدة ليس من رجال الرواية عند المحدثين ، فقد ضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال وقال عنه : ذكر في الضعفاء للجوزجاني ، على ان الحال وصل اليه في قومه أن يختلفوا عليه وينبزوه بالكفر كما تراه في كتاب الفرق للامام أبي منصور البغدادي ، والملل والنحل للشهرستاني وغيرهما، فلا نعمة عين له ـ كما قال ابن عباس ـ ولو كان يكره كل خارجي لبدعته لما أخرج لاثباتهم أئمة السنة في الصحاح والمسانيد ، ويكفي ان الامام مالكا رضي الله عنه عد ممن يرى رأيهم كما رواه الامام المبرد في كامله (١) ومن عزا لك ما بأثره ، وأراك مصدره ، فقد أوقفك من المسالك على الصراط المستقيم

ومن الغريب أن يستدل بعضهم على معاداة المبدعين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهجر الثلاثة الذين خلفوا ، ورفض تكليمهم حتى

(١) جزء ٢

تيب عليهم ، مع انه لاتناسب بين دليله والدعوى بوجه ما ـ لأن البحث في الرواة المجتهدين الثقات المتقنين الذين مانبذ السلف مرويهم لرأي رأوه ، أو مذهب انتحلوه ، فهل كان المخلفون كذلك ؟ وما المناسبة بين قوم هجرهم النبي صلى الله عليه وسلم لذنب محقق اعترفوا به حتى تيب عليهم ـ وقوم لايرون ماهم عليه الا طاعة وعقداً صحيحا يدان الله به ، وتنال النجاة والزلفى بسببه ، فالانصاف يا اولي الالباب الانصاف ، وحذار من الجري وراء التعصب والاعتساف

غريب امر المتعصبين ، والغلاة الجافين ، تراهم سراعا الى التكفير والتضليل ، والتفسيق والتبديع ، وان كان عند التحقيق لااثرلشيء من ذلك الا مادعا اليه الحسد ، او حمل عليه الجمود وضعف العلم ، وجهل مشرب البخاري ومسلم ، واصحاب المسانيد والسنن هداة الأمة ، ولا قوة الا بالله

(ثمرة الرفق بالمخالفين)

قال بعض علماء الاجتماع : يتخلف فكر عن آخر باختلاف المنشإ والمادة والعلم والغاية . وهذا الاختلاف طبيعي في الناس ، وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا ، ومن عادة صاحب كل فكر ان يحب تكثير سواد القائلين بفكره ، ويعتقد انه يعمل صالحا ، ويسدي معروفا ، وينقذ من جهالة ، ويزع عن ضلالة ، ومن العدل ان لا يكون الاختلاف داعياً للتنافر ما دام صاحب الفكر يعتقد ما يدعو اليه ، ولو كان على خطأ في غيره ، لان الاعتقاد في شيء اثر الاخلاص ، والمخلص في فكر ما اذا اخلص فيه يناقش بالحسني ، ليتغلب عليه بالبرهان ، لا بالطعن

واغلاظ القول وهجر الكلام ، وما ضر صاحب الفكر لو رفق بمن لا يوافقه على فكره ربما يهتدي الى ما يراه صوابا ، ويراه غيره خطأ ، او يقرب منه ، وفي ذلك من امتثال الاوامر الربانية ، والفوائد الاجتماعية ، ما لا يحصى . فان اهل الوطن الواحد لا يحيون حياة طيبة الا اذا قل تعاديهم ، واتفقت على الخير كلمتهم ، وتناصفوا وتعاطفوا ، فكيف تريد مني ان اكون شريكك ، ولا تعاملني معاملة الكفؤ على قدم المساواة

دع مخالفك ـ ان كنت تحب الحق ـ يصرح بما يعتقد ، فاما ان يقنعك ، واما ان تقنعه ، ولا تعامله بالقسر ، فما قط انتشر فكر بالعنف ، او تفاهم قوم بالطيش والرعونه . من خرج في معاملة مخالفه عن حد التي هي أحسن ، يحرجه فيخرجه عن الادب ويحوجه اليه ـ لان ذلك من طبع البشر مهما تثقفت أخلاقهم ، وعلت في الآداب مراتبهم . وبعد فان اختلاف الآراء من سنن هذا الكون ، وهو من أهم العوامل في رقيّ البشر ، والادب مع من يقول فكره باللطف قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع . والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن الجاهلين لا العالمين ، والموسين لا المتدلين اه مع تلخيص وزيادة ،

ولا يخفى ان الاصل في هذا الباب قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » وقوله سبحانه « وقولوا للناس حسنا » وقوله جل ذكره : (ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ولا تنس ما أسلفنا عن السلف في تفسيرها .

(حماة الاعلام المحققين على المتفهة المكفرين)

لما استفحل الرمي بالتكفير والتضليل لخيار العلماء في منتصف قرون الألف الاولى من الهجرة ضجت عقلاء الفقهاء، وصوبت سهام الردود في وجوه زاعمي ذلك، حتى قالت الحنفية (عليهم الرحمة) ما معناه: لو أمكن ان يكفر المرء في أمر من تسعة وتسعين وجها، ومن وجه واحد لا يكفر يرجح عدم التكفير على التكفير لخطره في الدين

ولم يشتد الرمي بالتكفير والارهاق لاجله، والارجاف به، في عصر من العصور مثل القرن الثامن للهجرة. ومن سبر تاريخ الحافظ ابن حجر المسمى (بالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) أخذه من ذلك المقيم المقعد، اذ يرى ان العالم الجليل الذي هو زينة عصره، وتاج دهره، كان لا يأمن على نفسه من الادلاء عليه، والسعاية به، فيما يكفره ويحل دمه، حتى صار يخشى على نفسه من أخذت منه السن، واقعده الهرم، وأفاجته الشيخوخة، ولا من راحم أو منصف - كما تقرأ ذلك في ترجمة علاء الدين العطار تلميذ الامام النووي، وانه مع زمانته، وكونه صار حلس بيته، يتأبط دائما وثيقة أحد القضاة بصحة ايمانه وبراءته من كل ما يكفره، ولقد اريقت دماء محرمة، وعذبت أبرياء بالسجون والنفي والاهانات باسم الدين، وروعت شيوخ وشبان أعواما وسنين، حتى عج لسان حالها وقالها بالدعاء الى فاطر الارض والسموات، بكشف هذه الغمم والظلمات، ولم يزل سبحانه يملي لها ويستدرجها في غيها، ولم تحسب للايام ما تخبئ لها في طيها، الى أن امتلأ اناؤها، وحان حصدها وافناؤها، فأخذها الله

وهي ظالمة جائرة ، ودارت على دولتها الدائرة ، ومحق الله بفضله تلك الدولة المجنونة الجاهلة ، وأورثها للدولة الصالحة العاقلة ، فأمنت الناس على انفسها ودمائها ، وذهبت عصبة الجمود بزبدها وغثائها ، سيقول بعض الناس ممن تغره القشور ، ولم تقف مداركه على لباب روح العصور : ان تلك الدماء المراقة ، والارواح المهدرة ، لم يحكم عليها الا بالبينة والشهود ، التي بمثلها تقام الحدود ، وهل بعد ذلك من ملام أو جحود ، يقول ويجهل أو يتجاهل ان التعصب يحمل على الاخذ بالظنة ، أو الايقاع بالشبهة ، وان المتطوعة بالشهادة قد يحملهم على اختلاقها ظن الاجر بنصرة الدين ، بقتل هؤلاء المساكين ، لاسيما اذا دفعوا بتشويق المتصوحلين والمتمفقرين[1] ، والحشوية البكائين ، احتبالا وقنصا للمغفلين ، ولقد استفيض عن كثير من هؤلاء الضالين المضلين ، الاغراء بقتل الداعين الى الكتاب والسنة والمجاهدين في الاصلاح العاملين ، على ان قاعدة المحققين هي عدم البت في أمر تاريخي الا بعد تعرفه من اطرافه ، ومراجعة عدة اسفار للوقوف على كنهه وحقيقته ، والاشراف على غثه وسمينه ، ووزنه بميزان العقول السليمة ، والقواعد الاجتماعية المعقولة – كما أشار اليه الامام ابن خلدون في مقدمته

نحن لم نصم أعمال أولئك بالظلم والجور والبغي الا لما فضح نبذاً منها الامام زين الدين ابن الوردي الشهير صاحب البهجة ، واللامية ، والديوان ، والمقامات ، فقد شفى بالحقيقة الاوام ، وأوضح عن مكر أولئك بالتمويه

(١) المتمفقر كالمتمسكن مدعي الفقر اي التصوف وليس من أهله

والايهام، في مقالة بديعة أنشأها في القاضي الرباحي المالكي (١) سماها (الحرقة للخرقة) ولا بأس بنقل جمل منها تأييداً لما قلناه ، قال رضي الله عنه :

« أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على المكاره سواه، والصلاة والسلام على نبيه محمد الذي خاف مقام ربه وعصم من اتباع هواه ، وعلى آله وصحبه الذين بذل كل منهم في صون الامة قواه ، وسلمت صدورهم من فساد النيات وانما لكل امرئ ما نواه ، فان نصيحة أولي الامر تلزم ، والتنبيه على مصالح العباد قبل حلول الفساد أحزم ، والمتكلم لله تعالى مأجور ، والظالم ممقوت مهجور ، وتحسين الكلام لدفع الضرر عن الاسلام عبادة، والنثر والنظم المذب عن أهل الاسلام من باب الحسنى وزيادة ، وجرحة الحاكم الاعراض بالاغراض صعبة ، اذ نص الحديث النبوي ان حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة ، وخرق خرقته مذموم، ولحم العلماء مسموم، « وهذه رسالة » أخلصت فيها النية ، وقصدت بها النصيحة للرعاة والرعية، أودعتها من جوهر فكري كل ثمين ، وناديت بها على هزيل ظلم أبناء جنسي مناداة اللحم السمين ، لكن جنبتها فحش القول اذ لست من أهله، وخلدتها في ديوان الدهر شاهدة على المسيء بفعله ، ورجوت بها الثواب، نصرة للمظلوم، وغيرة على حملة العلوم ، وسميتها : (الحرقة للخرقة) فقلت: اعلموا ياولاة الامر، وياذوي الكرم الغمر، أبقاكم الله بمصر (٢) للأمة ،

(١) راجعها في ص ١٩٠ من المجموعة الادبية التي طبعت في مطبعة الجوائب عام ١٣٠٠ ، مشتملة على لامية العرب وشرحها وشرح المقصورة الدريدية ، وديوان ابن الوردي، وديوان الخشاب ورسائله

(٢) كانت مصر في عهد المؤلف وهو القرن الثامن عاصمة دولة المماليك

ووفقكم لدفع الاصر وبراءة الذمة ، ان حلب قد نزعت للزبدة ، ووقعت من ولاية التاجر الرباحي في خسر وشدة ، قاض سلب الهجوع ، وسكب الدموع ، واخاف السرب ، وكدر الشرب ، بجراءته التي طمت وطمت ، وعاميته التي عمت وغمت ، وفتنته التي بلغت الفراقد ، وأسهرت ألف راقد ، ووقاحته التي أدهشت الالباب ، وأخافت النطف في الاصلاب ، فكم لطخ من زاهد ، وكم أسقط من شاهد ، وكم رعب بريا ، وكم قرب جريا ، وكم سعى في تكفير سليم ، وكم عاقب بعذاب أليم ، وكم قلب ذائب ، بنائبة توسط بها عند النائب ، فامتنعت الامراء عن الشفاعة ، وظنوا هم والنائب ان هذا امتثال لأمر الشرع وطاعة ،

ياحامل النائب في حكمه ان يقتل النفس التي حرمت
غششته والله في دينه بشرك بالنار التي أضرمت

(الى ان قال الزين ابن الوردي) ثم انه فسق مفتيا في الدين ، وفضح خطيبا على رؤوس المسلمين ، (ثم قال) يحب اثبات الردة والكفر ، لحب الدنانير الصفر ،

حاكم يصدر منه خلف كل الناس حفر
يتمنى كفر شخص والرضا بالكفر كفر

(ثم قال) اذا وقع عنده عالم فقد وقع بين مخالب الاسود ، وأنياب الافاعي السود :

ادركوا العلم وصونوا أهله من جهول حاد عن تبجيله
انما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله

(ثم قال) ماأقدره على السفير ، وما أسهل عليه التفسيق والتكفير ، كم دعي الى بابلة فما ارتاح الى الباب ، ونراه حيران لعدم الرقة فاذا قيل له فلان قد كفر طاب ، يحبس على الردة بمجرد الدعوى ، ويقوي شوكته على أهل التقوى ، قد ذلل الفقهاء والاخيار ، وجرأ عليهم السفهاء والاغيار

يحبس في الردة من شاء بغير شاهد
لا كان من قاض حكى الفقاع جدّ بادر

أراح الله من تعرضه ، وصان عراض الاعراض عن تعرضه ، يقصد بذلك أهل الدين ، والقراء المجودين ،

جرحت الابرياء فأنت قاض على الاعراض بالاغراض ضاري
ألم تعلم بأن الله عدل « ويعلم ماجرحتم بالنهار »

هذا بعض ماجاء في رسالة الامام ابن الوردي التي هي أشبه بمقامة بديعية ، وكلها حقائق صادقة ناطقة بما كان عليه تعصب قضاة ذلك الوقت ولا سيما المالكية منهم . ولقد كان قضاة المذاهب يحيلون الامر في التعزير والتأديب الى القاضي المالكي لما اشتهر في الفقه المالكي من مضاعفة النكال ، وشدة التأديب في باب التعزير ، اذ بسط للقاضي يده فيه بسطا لم يوجد في مذهب غيره ، فلذا كان محبو الانتقام والتشفي ، يعمدون الى احالة القضية الى القاضي المالكي لما يعلمون ماوراء قضائه ـ مما فصل بعضه الامام ابن الوردي كما قرأت ـ على ان الامر في التعصب لم يقف عند القاضي المالكي وحده ، لتعصب عنده ، وانما كان هو الاقوى تعصبا والاشد تصلبا ، والا فان مظهر ذلك العصر كان التعصب بجميعهم ، فقد حكى الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى في مقدمة طبقاته الكبرى المسماة

بالواقح الانوار ما مثاله : «وقد أخبرني شيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع الغمري بمصر المحروسة ان شخصا وقع في عبارة موهمة للتكفير ، فأفتى علماء مصر بتكفيره ، فلما أرادوا قتله قال السلطان جقمق : هل بقي أحد من العلماء لم يحضر ، فقالوا نعم الشيخ جلال الدين المحلي شارح المنهاج ، فأرسل وراءه فحضر ، فوجد الرجل في الحديد بين يدي السلطان ، فقال الشيخ : مالهذا ، قالوا : كفر ، فقال : ما مستند من أفتى بتكفيره ، فبادر الشيخ صالح البلقيني من مشاهير الشافعية — وقال قد أفتى والدي شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين في مثل ذلك بالتكفير ، فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه : ياولدي أتريد أن تقتل رجلا مسلما موحداً يحب الله ورسوله بفتوى أبيك ، حلوا عنه الحديد ، فجردوه وأخذه الشيخ جلال الدين بيده وخرج والسلطان ينظر ، فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله تعالى عنه»

وقد عد الشعراني من الاعلام الذين أكفرهم الجامدون المتعصبون ما يقرب من الثلاثين (فمنهم) القاضي عياض اتهموه بأنه يهودي لملازمته بيته للتأليف نهار السبت وذكر ان المهدي قتله (ومنهم) الامام الغزالي كفره قضاة المغرب ، وأحرقوا كتبه ، (ومنهم) التاج السبكي رموه بالكفر مراراً وسجن أربعة أشهر [1] ، وكل هذا انما كان بزعم المتعصبين بشهادات وأقضية وفتاوي ، ولكن سرعان ما فضحهم التاريخ ، وكشف عوارهم كما حكاه الشعراني وغيره ، والحمد لله الذي جعل الباطل زهوقا

وهكذا يمر بتواريخ تلك القرون ما لا يحصى من حوادث من أفيت عليهم الفتن ، واتهموا بما اتهموا به ، مع ان الحدود تدرأ بالشبهات ، ونفي

(١) ذكر السبكي محنته هذه في آخر منظومة له في الفقه عندي الكراسة الاخيرة منها

بالحدود مانص عليه في الكتاب العزيز والسنة الغراء ، فاذا كانت في تلك المكانة وقد شرع فيها محاولة درءها بالشبهات ، فكيف بحدود لاسند لها الا بالاجتهاد ، وليس لها أصل قاطع ، ولا نص محكم ، فلا ريب انها أولى بالدرء ، وأجدر بالدفع ، ولا يدري المرء ما الذي حملهم على نسيان هذه الموعظة حتى عكسوا القضية ، وأصبحوا يكبرون الصغير ، ويعظمون الحقير ، ويهولون الامور ، ويدعون بالويل والثبور ، مما لايقومون بعشره للمنكرات المجمع عليها ، والكبائر التي يجاهر بها ، فلا حول ولا قوة الا بالله

ولما تشددت القضاة المالكية في هذا الباب ، اصبحوا هدفا لأولي الالباب ، حتى قال الامام ابن الوردي في ذلك القاضي المتقدم الرباحي : ان المالكية بدمشق كتبوا اليه يامغلوب ، لقد بغضت مذهب مالك الى القلوب ، وقطعت المذاهب الاربعة عليه بالخطا ، وزالت بهجته عند الناس وانكشف الغطا ، الخ . والسبب في ذلك ما ابتدعه الملك الظاهر برقوق من توظيف قضاة أربعة على المذاهب الاربعة مما لم يعهد قبله في دولة من الدول ، حتى نشأ من ذلك مانقمه عليه الأعلام ، وعدوه من التفرقة في الاسلام ، قال التاج السبكي في طبقاته [1] في ترجمة قاضي القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي المتوفى سنة ٥٦٦ مامثاله : وفي أيامه جدد الملك الظاهر القضاة الثلاثة في القاهرة ، ثم تبعتها دمشق وكان الامر متمحضا للشافعية فلا يعرف ان غيرهم حكم في الديار المصرية منذ وليها أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي في سنة ٢٨٤ الى زمان

(١) جزء (٥) صفحة (١٣٤)

الظاهر إلا أن يكون نائب يستنيبه بعض قضاة الشافعية في جزئية خاصة ، وكذا دمشق لم يلها بعد أبي زرعة المشار اليه الا شافعي غير التلاشاغوني التركي ، الذي وليها يومات وأراد أن يجدد في جامع بني أمية اماما حنفيا ، فأغلق أهل دمشق الجامع وعزل القاضي (١) (قال السبكي) واستمر جامع بني أمية في يد الشافعية — كما كان في زمن الشافعي رضي الله عنه (قال) ولم يكن يلي قضاء الشام والخطابة والامامة بجامع بني أمية الا من يكون على مذهب الاوزاعي الى ان انتشر مذهب الشافعي ، فصار لا يلي ذلك الا الشافعية (ثم قال السبكي) وقد حكي ان الملك الظاهر رؤي في النوم فقيل : ما فعل الله بك ، قال عذبني عذابا شديداً بجعل القضاة أربعة ، وقال فرقت كلمة المسلمين » اه ولا يخفى على ذي بصيرة ماحصل من تفرق الكلمة ، وتعدد الامراء ، واضطراب الآراء ، وقد قال أبو شامة لما حكى ضم القضاة ، انه مايعتقد ان هذا وقع قط : قال السبكي : وصدق فلم يقع هذا في وقت من الاوقات ، (قال) وبه حصلت تعصبات المذاهب ، والفتن بين الفقهاء : فانه يؤيد ماقدمناه من اتخاذ هذه آلة للفتن والتشفي من المخالفين ، حتى أدال الله من تلك الدولة للسلطان سليم خان فنسخ كل ذلك ، وقصر الامر على قاض حنفي واحد ، ولا ريب ان هذا كان من النعم الكبيرة ، اذ قمعت به فتن خطيرة ، وحسمت به

(١) تأمل هذا التعصب واسترجع وحوقل أين غاب عنهم فضل سائر الأئمة المتبوعين الأربعة وغيرهم وكيف نسوا ان الناس عيال عليهم تستمد من بركة فقههم واستنباطهم وتأصيلهم وتفريعهم ؟ ما أجمد قوما يزعمون انهم تعبدوا بمذهب واحد أو اتباع امام واحد ، أوما علموا ان كلهم من رسول الله ملتمس ، وان الله تعالى انما تعبد الناس بتنزيله الحكيم ، وهدي نبيه المعصوم

شرور وفيرة ، ثم لم يزل في الامر حاجة الى الكمال ، وهو سعي أولي الحل والعقد بعقد مؤتمر علمي من كبار فقهاء المذاهب المعروفة ، وتأليف مجلة تستمد من فقه سائر الائمة الاربعة وغيرهم مما فيه رحمة ويسر ، ومشي مع المصالح والمنافع ، ودفع المضار في أبواب المعاملات ، فبذلك تظهر محاسن الدين في الاقضية والاحكام ، ويعرف أنه دين المدنية في كل زمان ومكان الى قيام الساعة وساعة القيام ، وان اليوم الذي تتحقق فيه هذه الامنية لهو أسعد الايام ، والمستعان بالله ذي الجلال والاكرام اه

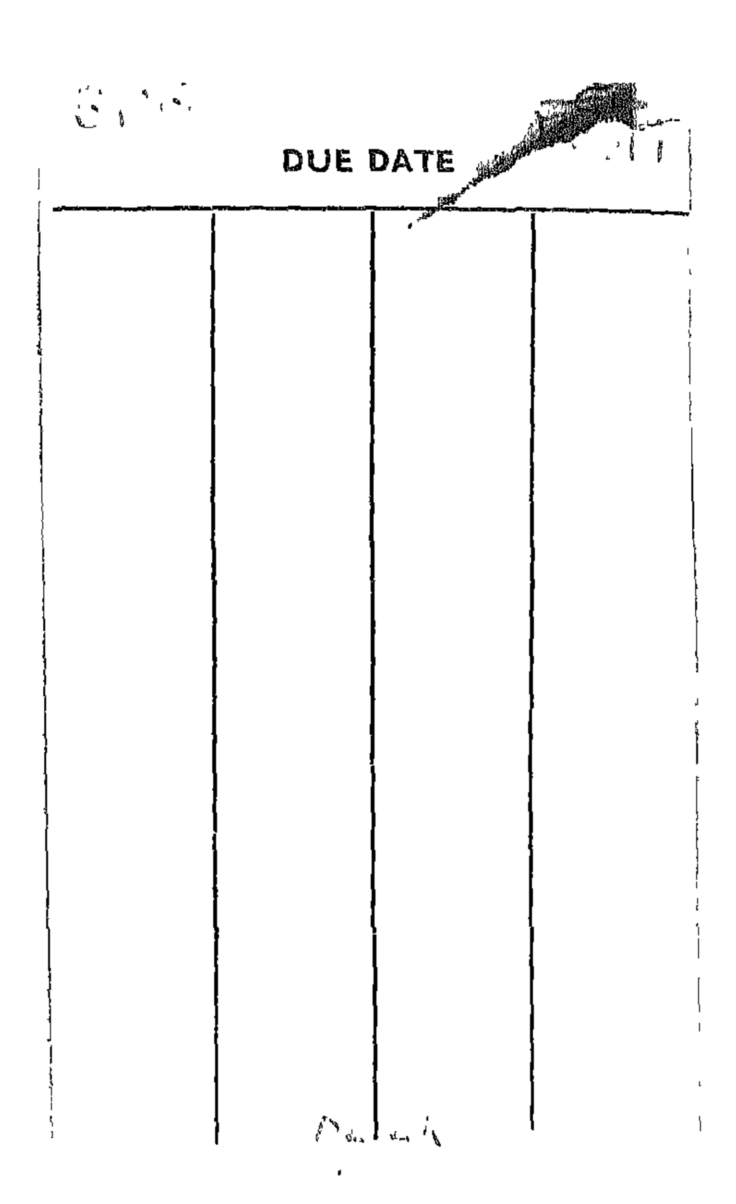
صفحة :

فهرس

مؤلفات الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي

الموجودة في مكتبة المنار بأثمانها المذكورة خلا اجرة البريد

ص	
٢	مجموع أربع رسائل في أصول المذاهب الأربعة مشروحاً
٢	تنبيه الطالب الى معرفة الفرض والواجب في الاصول
٣	شرح لقطة العجلان للزركشي
٢	مذاهب الأعراب وفلاسفة الاسلام في الجن
٤	الفتوى في الاسلام
٦	ارشاد الخلق الى العمل بخبر البرق . مع فتاوى الاشراف في العمل بالتلغراف
٨	دلائل التوحيد .
٢	نقد النصائح الكافية .
٢	ديوان خطب .
٢	حياة البخاري .
٢	الجرح والتعديل (وهو هذا)


DUE DATE